https://doi.org/10.26682/chjuod.2023.26.1.79
مجلة جامعة دهوك، المجلد: 26، العدد: 1 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص1078 -1091، 2023 (عدد خاص)
المؤتمر العلمي الرابع الموسوم "دور القانون والعلوم الإنسانية في حماية المرأة وتمكينها 1444 هـ -2023 م "،جامعة دهوك 6 آذار2023

جماليات الاستجابة في القصص القرآني – الشخصية النسائية

"أم موسى ,ومريم عليهما السلام" انموذجا

حسين حسن عبدالله* و رواء نعاس محمد**
* قسم علوم القرآن، أقسام الديوانية، كلية الإمام الكاظم(عليه السلام) –العراق
** قسم اللغة العربية، كلية الآداب ، جامعة القادسية–العراق

(تاريخ القبول بالنشر:27 تموز، 2023)

الخلاصة:

تعد الشخصية من العناصر البارزة في القصص القرآني؛ لذلك غطت القصة القرآنية أغلب شخصياتها, بما فيها الشخصية النسائية, التي فسحت لها مساحات واسعة في قصصها, وأسندت لها أدوارا مفصلية في حياة أنبيائها, تتناسب مع تركيبتها الخُلقية والاخلاقية التي خلقها الله سبحانه وتعالى عليها, لذلك سعى البحث للتعرف على جماليات الاستجابة القرآنية للمرأة,

لنماذج مختارة من القصص القرآني, ولتكن قصة (أم موسى, ومريم عليهما السلام), لنلحظ دقة تعامل القرآن مع المرأة و فق معادلة متزنة متوافقة مع تركيبتها, والنظر اليها نظرة واقعية, تنطلق من واقعية القصة القرآنية؛ لتحقق لدينا العظة والعبرة, ومن ثم نمكن لها وفق المنظور القرآني الذي رسم لها.

لذلك يوصي البحث, بالتعرف على جماليات الاستجابة القرآنية لشخصيات نسائية أخرى في القصص القرآني؛ ليتسنى التعرف أكثر, على منهجية القرآن للتعامل مع الشخصية النسائية؛ لننطلق للتعامل معها وفق هذه المنهجية.

الكلمات الدالة :الجماليات, الاستجابة, أم موسى, مريم(عليها السلام).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلي محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين, الهم اهدنا بالقرآن, ووفقنا لفهمه, وتدبره والعمل به.

وبعد...

تعد الشخصية من العناصر البارزة في القصص القرآني؛ لذلك غطت القصة القرآنية أغلب شخصياتها, بما فيها الشخصية النسائية, التي فسحت لها مساحات واسعة في قصصها, وأسندت لها أدوارا مفصلية في حياة أنبيائها, تتناسب مع تركيبتها الخُلقية والاخلاقية التي خلقها الله سبحانه وتعالى عليها, لذلك سعى البحث للتعرف على جماليات الاستجابة القرآنية للمرأة,

لنماذج مختارة من القصص القرآني, ولتكن قصة (أم موسى, ومريم عليهما السلام), لنلحظ دقة تعامل القرآن مع المرأة و فق معادلة متزنة متوافقة مع تركيبتها, والنظر اليها نظرة واقعية, تنطلق من واقعية القصة القرآنية؛ لتحقق لدينا العظة والعبرة من القصص القرآني, ومن ثم نمكن لها وفق المنظور القرآني الذي رسم لها.

وقد سلك البحث لتحقيق أهدافه المنهج الجمالي, المتكأ على الوصف والتحليل, لرسم خطة له كانت على الشكل التالي: المقدمة: يكون الحديث فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره, وخطة البحث. اما التمهيد: يكون الحديث فيه للتعريف على جماليات استجابة الشخصية. ويشتمل البحث كذلك على مبحثين, بوصفهما تطبيق للبحث, المبحث الأول, قصة أم موسى, والمبحث الثاني قصة مريم عليهما السلام. وخاتمة البحث: فيها نظرات في جماليات الاستجابة والتمكين القرآني للمرأة.

هوامش البحث, و ثبت المراجع والمصادر.

التمهيد

جماليات استجابة الشخصية:

تعد الشخصية اللبنة الأساس للقصة، ومنطلق لكل العناصر السردية الأخرى. وللشخصية القصصية القرآنية دور مهم في نمو بنائه السردي، فهي المقصود الاول لدعوات تلك القصص، التي تحتاج لاستجابات، تكون فيها الشخصية القصصية أما مستجيبيه، أو مستجابه، أو مساعدة على تحقيق الاستجابة.

فأن الشخصية الإنسانية هي التي تحدد هوية الفرد، وتميزه عن غيره، بجملة من الخصائص المتنوعة متمثلة في أبعاد الفرد المعرفية، والوجدانية، والنزوعية ، والفيسيلوجية، والجسمية[1].

متمثلة بالجانب الذاتي للفرد(الأنا) التي تشير الى حياته العقلية، والعاطفية، والإدراكية، والإدارية، والجسمية، في جانبهما الموضوعي، تتألف من ردود أفعاله، وإستجاباته، النفسية والاجتماعية التي يواجه بها بيئته، وانماط سلوكه التي تعينه على التكيف والاستجابة وفقاً لبيئته الطبيعية، والاجتماعية[2].

يتعدى مفهوم الشخصية نقدياً, بتعدد مجمل التصورات, واختلافها في النظر إلى الشخصيات. فالتصور التقليدي للشخصية, كان يعتمد على صفاتها, مما أصبح هناك خلط بين الشخصية الحكائية والشخصية في الواقع, الأمر الذي دفع (ميشال) للتميز بين الاثنين, بوصف الشخصية الحكائية علامة على الشخصية الحقيقية[3].

فكان لأبحاث (فلاديمير بروب) مثلاً عن النقد الشكلاني, وأبحاث (غريماس) ممثلاً عن نقد علم الدلالة المعاصر, محاولات في تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام, بواسطة مجموع أفعالها, أي الوظائف التي تقوم بها, مع عدم أغفالها لعلاقاتها مع الشخصيات الأخرى التي يحتوي عليها النص[4].

قدم معظم النقاد المحدثين, عنصر الشخصية على العناصر الأخرى؛ بوصفها أهم عناصر الفن القصصي, في حين مال النقاد القدامى على تقديم العقدة أو الحبكة عليها[5] . مع إن كل عناصر السرد, لا تنمو ولا تتشكل من دون حركية الشخصيات في القصة.

فقد أكد (هنري جيمس) فاعليتها بعلاقتها بالحادثة متسائلاً (هل الشخصية سوى تحديد الحادثة, وهل الحادثة إلا توضيح الشخصية) [6].فلا وجود للحادثة بدون حركية الشخصية, وتفاعلها مع فضاء القصة. فإذا كانت الحادثة لب القصة, فإن الشخصية هي لب الحادثة[7].

فأصبحت الشخصية حديثاً لا تعرف بالاسم الذي يُعرف بها بل بالوظيفة التي توكل إليها[8] . كونها علامة لغوية ملتحمة بجميع المكونات السردية, نجد حقيقتها في التواصل[9] .

وللسرد القرآني خصوصيته في عرضه للشخصيات الإنسانية, يتجاوز فيها حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية[10] .الحية, المتحركة, فيكشف عن انفعالاتها, وجوانبها المختلفة[11] .

مركزاً بشكل أكبر على الافعال سواء كانت هذه الافعال حركات, حوارات, منولوجات, أو أحداث[12] . عبر المدد السردي ,المحدد لملامحها, الذي يساعد المتلقي على معرفتها, المعرفة الاستبطانية الواعية [13]

وهذا ما سعت إليه السردية الحديثة, في إيكال دور استكشاف شخصيات الرواية إلى المتلقي بستكناهه آفاق النص الدلالية والجمالية المعبرة عن شخصياتها[14] .

فواقع الشخصية وحقيقتها في القصص القرآني, لا تتحدد بوضعها ولا بطبعها في المجتمع, ولكن بطائفة من القيم الثابتة [15]. فكان للشخصية دور إيجابي في تفعيل الاستجابة في القصة القرآنية, فهي المقصود الاول في دعواتها, بتفعيل وتفاعل جميع الشخصيات في بناء الحدث ونموه, فليس فيها إفراط وتفريط في التعامل مع الشخصيات القصصية, لعدم تغليب الحدث على الشخصية, وفي الوقت نفسه لا تضعف دور الشخصية لحد الاختفاء وراء الاحداث, وإنما هناك معادلة تحكم جميع القصص القرآني[16]. هذه المعادلة تعتمد على وظيفة الشخصيات داخل النسيج السردي , والتي بدورها تكون مسؤوله في تقرير المعنى القصصي [17]. يتلمس البحث جماليات الاستجابة القرآنية, للشخصية النسائية في قصة أم موسى(عليه السلام) و مريم(عليها السلام).

المبحث الأول:

جماليات الاستجابة في قصة أم موسى(عليه السلام):

للمرأة أدوار بارزة في القصص القرآني, وفي قصة موسى (ع) بصورة خاصة فهي الأم, والأخت, والزوجة. وسوف نتتبع بالتحليل جماليات الاستجابة النسائية المتحصلة في هذه الأدوار والعبر المرجوة منها. نبتدأ مع شخصية أم موسى (ع) ومدة حملها وولادتها لموسى (ع) التي أخفاها السرد القرآني, لأنها ليس موضع العظة والعبرة, وسردياً, لأنها من القصص ذات البدايات المفتوحة, لتجعل المتلقي مشارك في الحكي, لسد ذلك الانفتاح. فقد ولد موسى (ع) في وقت عصيب كان فيه فرعون مصر يقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل, تبعاً لرواية مفادها: أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد سيكون على يديه هلاك فرعون وملكه, عندئذ قرر فرعون أن يقتل كل مولود ذكر من بني اسرائيل[18]. فتكون هذه الرواية من الحوافز التي دفعت فرعون لهذا القتل والتعذيب لبني إسرائيل. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾القصص :4.

حتى أن ذات فرعون التي تشبعت بهذه الجرائم, أصبحت عائق للاهتداء والانصات للحق, يزاد على ذلك الحوافز الاجتماعية المتوفرة له في عصره, من المال والجاه, والبطانة المنتفعة في قصره. لتكون له السلطة في العزل الاجتماعي بالتفريق بين طبقات المجتمع من حيث الجنس والانتماء الديني والاجتماعي. فقد جعل أهل مجتمعه شيعاً وطوائف مستضعفين ومتحكمين ليسود عليهم.

فانفتاح بداية القصة فسح المجال لتوظيف السرد للموروث التاريخي يشكل عامل مساعد لدعم ديمومة السرد ودفعها للأمام. وتبعاً لهذا الوضع العصيب تتدخل الإرادة الإلهية بإنفاذ بني إسرائيل من الذل والقتل والاستحياء, بخلق المنقذ لهم[19] .

لتبدأ قصة أم موسى (ع) بحذف السرد لفترة الحمل والولادة, لينفتح السرد على فترة ما بعد الولادة, زمن الحبكة, والتي تدخل فيها أم موسى (ع) في حيرة من أمرها, كيف ؟ تحافظ على وليدها, في مقابل هذا التقتيل الفرعوني والاستضعاف, غير أنها تحاول إخفائه مع خوف وحزن شديد. فالأمر يحتاج الى استجابة إلهية, لإنقاذ موسى (ع) ومن ثم التدرج بالحل, برؤية استشرافية لإنقاذ بني إسرائيل, فبذلك تكون الرؤية محايدة ذاتية لإنقاذ موسى (ع) , فالأمر لا يقدر عليه الا الله سبحانه.

وفي خضم هذا الوضع الحرج, الذي تترقب فيه الأنفس للحل, تأتي الاستجابة والمنة الإلهية، ببشارة على هيأه وحي خفي خص ام موسى (ع), قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص :7. الوحي هنا ليس وحي نبوة وإنما وحي إلهام, أو رؤية صادقة, أو خاطرة من الواردات الألهية تعرض للصالحين فيوقع في نفوسهم يقيناً ينبعثون به إلى حمل ما ألهموا إليه[20] .

هذا الإيحاء وما فيه من تطمينات ووعود لام موسى شكل حافزاً ودافعاً قوياً لاستجابتها, ولأن الأمر ليس من السهل على ام موسى في فراق وليدها موسى(ع) عند إذ احتاج الموقف لأكثر من أمر وتطمين, قال تعالى:

﴿ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ ,﴿ إِنَّـا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ , ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ لكن الملاحظ على هذه الأوامر فيها تراخي, ومدارات لطبيعة ام موسى النسائية, أرضعيه وهو أمر تتمناه أم موسى (ع), لذلك أخفى السرد استجابة أم موسى له لأنها مفروغاً منها.

ومن جماليات أمر الإرضاع وسريته أَنْ أَرْضِعِيهِ أنه جمع بصيغة موجزة, يتبين منها العلاقة بين الأم ووليدها دون فاصل بينهما فجملة (أَرْضِعِيهِ) جملة أمرية كاملة فيها فعل الرضاعة والفاعل (أم موسى), والمفعول به (موسى)[21] فالأمر تضمن الرضاعة, وإخفاء المولود مدة تقررها أم موسى (ع) فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فالألقاء يتم بتقديرها وأرادتها.

وعند إذ نجد شخصيه أم موسى(ع) المؤمنة قد استجابت للإيحاء دون تردد وطبقته, فهي رضعت موسى مدة كاملة فيها تستطيع إخفائه, مع خوفها عليه, وفي مدة الرضاعة هذه- سر يكشفه ما يأتي من أحداث- في هذه المدة تنعم الأم بحنانها بمولودها الجديد, الذي بدوره يتغذى ويتعرف على أمه أكثر.

فجأة ينقلنا المشهد لتعاظم الأمر على أم موسى, فقد داهم موسى (ع) الخطر وتوضع في خيار صعب وسريع فهي بين خوفين: أوجب أحدهما ونهى عن الآخر, أما الأول فالخوف عليه من القتل إذا صاح أو بكى ويسمعه أعوان فرعون, أما الثاني فالخوف عليه من الغرق والضياع, والوقوع في قبضة فرعون[22] .

وعند تدبر جماليات الوعود التي دعمت موقف أم موسى, نجدها اشتملت على كثير من الأساليب البلاغية المتنوعة ففيها ورد خبران وأمران وبشارتان, وجاء بداية التعبير بالجملة الاسمية لتأكيد الأمر لأم موسى وثبوته برجوع موسى (ع)[23] . فالخبران هما وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى وقولـه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ,والأمران هما أَرْضِعِيهِ و أَلْقِيهِ والنهيان لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي , أما البشارتان هما إِنَّـا رَادُّوهُ إِلَيْكِ , وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ والتي شكلت بدورها حافزاً ودافعاً لاستجابة أم موسى (ع).

فبهذه الايحاءات والوعود, تستجيب أم موسى للأمر الإلهي الثاني فَأَلْقِيهِ , لتأتي اللحظة التي تفارق فيها أم موسى وليدها, والظاهر إنها لحظة سريعة ومفاجأة خافت فيها الأم على ولدها من القتل, يصفها القرآن في سورة القصص فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ , وباختلاف السياق في سورة طه أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ طه:39. فصورت الكلمات مشهد لحظة فراق الأم المرتبكة لوليدها بالألقاء والقذف, دون وضع الطفل برفق, دلالة على سرعة التنفيذ وارتباك أم موسى لإنقاذ وليدها, وإخفاءه من جنود فرعون ولو بإلقائه في اليم.

وبقذف التابوت في النهر وفيه موسى(ع) تتوتر الأحداث وتتصاعد ويتصاعد معها حنان أم موسى(ع) حتى يصل الحدث ذروته عند وصول التابوت لقصر فرعون ليشكل عامل الفقد لام موسى (ع) حافزاً سلبياً على نفسها يصورها السرد القرآني وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا وهو شعور متوقع لأم فاقدة لوليدها, لكنها حبست نفسها على ما يقتضيه عقلها [24].

فاستجاب لها ربها برباط ملئ فيه قلبها رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا فكان هذا الرباط الخفي حافزاً بلغت به درجه المؤمنين في التسليم لقضاء الله وقدره لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وبذلك تعيد توازنها العاطفي والعقلي, لتبدأ مرحلة جديدة, للتخطيط لهذه العودة فكانت شخصية أم موسى(ع) شخصية محورية في القصة, كشفت الانتقالات السردية عن شخصيتها .

لينفتح السرد على شخصية نسائية جديدة, مساندة للشخصية المحورية, هي أخت موسى(ع) وذلك بإشارة أم موسى لأخته لتتبع أمره وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ القصص : 11. أي جعلت تنظر إليه من بعيد وكأنها لا تريده[25]والجميل في استجابة أخت موسى(ع) إنها استجابة سريعة وكأنها كانت تنتظرها شوقاً لرؤية أخيها. واستجابة لأمر أمها, حكت جماليات اللغة عنها, فبمجرد حصول أمر القص قامت بالتتبع قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ فلا يوجد فاصل بين الأمر وتنفيذه, دلالة على سرعة استجابتها, فلا يوجد فاصل بين بصرها وبين أخيها موسى (ع) وكأنها لسقت بصرها (به) مع انه من بعد, بدلالة (بصر) التي

تدل على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصراً بسببه[26].

فشخصية أخت موسى (ع) مع انها ثانوية, بيد أن لها أهميتها في سياق السرد, لدخولها عنصراً فاعلاً في الصراع وتناميه, للفرز بين الحق والباطل[27].

وبوصول التابوت الى قصر فرعون, تدخل شخصية نسائية جديدة على مسرح الأحداث, هي أمرأة فرعون التي تولت فتح التابوت بنفسها بعد أن حملته لها جواري القصر, فلما فتحته هالها ما رأت فقد مسح الله سبحانه وتعالى مسحه من الجمال على موسى (ع) وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي فتعلق قلبها بموسى(ع) لتكون لها استجابة عاطفية, ناتجة من نداء قلبها, فرغبت أن يبقى في بيتها[28].

لكن بقي عليها أن تقنع فرعون, بأن يستجيب لها بإبقاء موسى عندهم فضلاً عن عدم قتله, فاستوهبته منه ودفعت عنه وقالت قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ و(قرة عين) لها عدة معانٍ فهي كناية عن السرور, الحاصل من مرأى محاسن موسى (ع), ويجوز أن تكون قسماً, أقسمت به على فرعون كي لا يقتل موسى (ع) وابتدأت بنفسها في قرة عين لي قبل ذكر فرعون إدلالا عليه لمكانتها عنده أرادت أن تبتدره بذلك حتى لا يصدر عنه الأمر بقتل الطفل[29] . والظاهر كل ذلك عملته حتى تحصل على استجابة فرعون على عدم قتل موسى ومن ثم أبقائه عندهم في القصر, وهو ما تم لها بالفعل.

وباستجابة فرعون تظهر مشكلة جديدة لفرعون وزوجه, هي تغذية موسى الذي لم يستجيب للرضاعة من أي من المرضعات, وذلك استجابة لتشريع كوني خص به موسى بتحريم المراضع عليه, لغاية سامية هي إنقاذ طفل بريء وأي طفل أنه مشروع نبي وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ القصص :12.

وفي وسط هذا الحراك للمرضعات, الداخلات للقصر والخارجات بلا جدوى, وبكاء موسى, تعرض أخت موسى الحل بطريقة الاستفهام, تلطفاً مع ال فرعون وابعاد للشبهة عنها هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ القصص :12.

قصدت أم موسى التي استجابت لها مباشرة في إرضاع موسى الذي استجاب لثدي أمه. لتنكشف الحكمة والسر ما نوهت له بداية القصة الإيحاء بإرضاع موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ لأن رضاعته منها قبل مفارقته إياها عقدت رابطة بين فمه وثدي أمه[30]ورابط فنى بين بداية القصة ونهايتها فبعودة موسى إلى أمه تحققت البشارة الالهية الأولى إلى أم موسى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ .

فكان مشهد الصبر في حياة أم موسى من أعظم العبر التي يمكن أن تتحصل عليها المرأة في حياتها ,بصبرها على الطاعة, وصبرها على الاقدار, حتى تحققت لها الاستجابة, فرجع لها مولودها, فنالت جمال سعادة الدنيا والآخرة. فقد أبرز السرد جمال أم موسى الباطني دون الظاهري, فكانت شخصية أم موسى(ع) عنصر فاعل في نمو الحدث وتطوره, الذي بدوره رسم لنا معالم تلك الشخصية الإيجابية . لينتقل البحث الى رسم جماليات تفاعل المرأة مع المكان وانفعالها فيه لخلق الاستجابة.

المبحث الثاني:

جماليات استجابة مريم(عليها السلام) المكانية:

تنبع أهمية دراسة المكان في الاستجابة السردية, عن علاقة المكان باستجابات شخصياته. فمنذ أن أنزل الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى الارض خليفة بدأت قصة ارتباطه بالمكان بوصفه مكون لا وجود له إلا به منذ ذلك الحين ونشأة بينهما علاقة متبادلة, كان فيها للمكان تأثيرات متواصلة على الانسان دفعه للاستجابة لخالقه[31].

فتنوعت مجالات اهتمام الإنسان بالمكان لاكتشاف آثاره في سلوك الإنسان ومن هذه المجالات علم النفس العمراني (الايكولوجي) الذي ((يؤكد دور الموقف الفيزيقي في استثارة السلوك الانساني كما أنه يلقي باهتمام مكثف على تأثير البيئة الفيزيقية على الأفراد الذين يستخدمونها))[32] ثم كان ظهور

هذا العلم باعثاً لظهور علم جديد هو علم النفس البيئي الذي عني بالتفاعل بين الانسان والبيئة المحيطة به الذي ركز على استجابات الأفراد لهذه البيئة[33] .

أما نقدياً فكانت البيئة المكانية قد تحتل مكاناً ثانوياً في علم السرد, لأن((الأبحاث البنائية لم تبلور نظرية متكاملة في الموضوع)[34] . أو بسبب طبيعة المكان نفسه فهو غير سردي, وغير حميمي, أو ربما بسبب الوضع غير الطبيعي لأعادة تقديم المكان وأوصافه بشكل خطابي[35] .

فالمكان مرئي ومحاولة ((تسريدة تجعله مجرد ملفوظ وصفي في سياق السرد, يصعب القبض على خصائصه وتمثلها في سبيل بناء نظرية حول المكان, ولعل هذا ما أدى بعض الدراسيين إلى اعتبار البيئة المكانية اختيارية))[36] ليست واجبه الحضور.

لكن هذه النظرة للمكان السردي لم تمنع باحثين أُخر من ملاحظة دور المكان في السرد, بوصفه أهم مكون سردي, إذ ذهب(هنري متران) من أن ((المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة))[37] إذ لم يتعامل مع المكان السردي من زاوية بعده الحسي فقط ,لأنه في الواقع السردي بنية دلالية, أو علامة, إذ يفقد بُعده الجغرافي الجيولوجي, ويتحول إلى علامة دلالة تحمل معاني رمزية ومعنوية أكد على هذا البعد الدلالي(رولاندو بورنوف) فنبه إلى القيمة الرمزية واعتبارها وجها من وجوه دلالة المكان[38] .

وفي سياق النص القرآني يغدو المكان حمال دلالات, ومغتنياً بأبعاد رمزية تتجاوز المفاهيم الضيقة للحيز الجغرافي[39] ولواقعية القصص القرآني, فأنها تتعامل مع الإنسان في بيئته ووجوده الطبيعي وما ينسحب على هذه العلاقة من فكر وعاطفة وشعور, يكون لها الأثر في استجابة الإنسان في كثير من الاحداث.

اختلف النقاد والباحثون في تحديد أنواع المكان وفقاً لأختلاف النصوص المعالجة, والمقاربات النقدية, والمنطلقات المنهجية التي ينطلقون منها, فمنهم من يقسمها على: المكان المجازي, والمكان الهندسي, والمكان بوصفه تجربة معيشة, ومنهم من يحددها: بالمكان المسرحي, والمكان التاريخي, والمكان الأليف, والمكان المعادي, وهناك من يحددها: بأماكن الإقامة الإختيارية, والإجبارية, وأماكن الإنتقال, وأحياناً تتداخل هذه التقسيمات. [40]

استوعبت جماليات المكان في الاستجابة القصصية كل هذه الأنواع ضمن جمالياتها السردية ليركز البحث على المكان الواقعي, لواقعية القصة القرآنية, فللقصص القرآني خصوصيته بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها فهو لا يذكرها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سيرة الحدث أو يبرز ملامحه, أو يقيم شواهد العظة والعبرة منه, ففي هذا يلتزم السرد القرآني بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها, وذلك لبيان الغرض المقصود من القصة وتهب منه على الحدث سمات واسعة, ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفقدها الحادثة إذا هي لم تجئ في صحبة المكان المنصوص ولم تلبس به[41] شخصياته.

وعندما يفعل عنصر المكان فإن السرد القصصي يعني به عناية كبيرة كونه الأساس الاول في تنشأة الإنسان والتي لها الدور في الاستجابة الإيجابية من عدمها, لذلك نجده يُغلف المكان بجماليات سردية, تتناسب ودوره الذي يقوم به لديمة الحبكة القصصية ودفع سير الأحداث, فالمكان واقعياً يمكن أن يوفر مقاماً لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث, وسردياً يكون وسيلة من وسائل إفهامنا[42] .

وبذلك يكون المكان شكلاً من أشكال الاستقرار للإنسان, لأنه بلا مكان يصبح كائناً لا استقرار له [43] فهو حقيقة معاشة يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثر فيه[44] .كما أن للمكان دوره في تشكيل الشخصية فإن الشخصية القصصية تقوم في تشكيل المحيط بها بواسطة وجهة نظرها, ليكون جزءاً من تكوينها[45].

ويتلمس البحث جماليات المكان الواقعي بواسطة قصة مريم (ع), فمن جماليات الاستجابة المكانية في قصتها (ع) هو الإعداد المكاني الواقعي التدريجي لمريم (ع) استعداداً للاستجابة لرسول رب العالمين, فقد أعدت مريم (ع) بالإضافة لأعدادها الروحي والنفسي اعداداً مكانياً, فكان للمكان أثره في قصة مريم (ع) ومن جماليات هذا الاعداد المكاني ما ركزت عليه القصة

في قوله تعالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا مريم:16.

افتتحت القصة بسرد روائي يذكر بعض الأحداث التي تكشف عن علاقة الشخصية الرئيسية مريم (ع) في المكان الشرقي, بادئة بفعل أمر (اذْكُرْ) وفي افتتاحها بفعل الأمر يعطيها قدراً واهتمام, وتشويقاً للسامع أن يتعرفها ويتدبرها[46] .فهذه البدايات تثير المتلقي وتدفعه الى متابعة القصة بشغف لاستكناه ما انطوت عليه القصة[47] . وفي تكرار فعل الأمر (اذْكُرْ) جمالية الانسجام النصي الفني في سورة مريم, إذ يربط قصه مريم بقصه زكريا ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا مريم :2, للإشارة الى العلاقة بينهما وبين قصتيهما.

تسمت أحداث القصة منذ البداية بترابط احداثها وسرعة تتابعها التي عبر فيها المشهد عن خروج السيدة مريم (ع) إلى المكان الشرقي والذي نكره السرد (مكان), أما المكان (الشرقي) فقد أشارت النصوص التفسيرية إنه يشير الى اتجاه عبادي شرق بيت المقدس[48].

ومن ثم فإن المكان الشرقي, فيه إشارة إلى مكان تعبد مريم (ع) والخلوة للعبادة بعيداً من أعين البشر, جاء في معنى الانتباذ بأنه (التخلي للعبادة)[49] . وهذه إشارات واضحة منذ البداية تدل على علاقه مريم بالمكان وأثره في استجابتها, وأثرها فيه بإدخال صفة التقديس عليه, إن كان مكان عبادتها المحراب أو غيره.

ومن جماليات هذا الاعداد المكاني هو التدرج في الكمالات ففي بداية خلوتها كانت عن الاهل فقط انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا لذلك لم يرد معه, حجاب, أم ما في المرحلة الثانية فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ؛ لأنه كان من الأهل وغيرهم. وبذلك تكاملت مريم في الإعداد والكمالات الروحية بلغت فيه مرتبة الاستجابة لرسول رب العالمين فكان لفاعلية المكان د.

ومما تجدر الإشارة إليه إن مريم في خلوتها لم تكن بمفردها وإنما كانت خلوتها, وحسب ما أشارت الآيات الكريمة عن البشر إن كانوا الاهل أو غيرهم. فالملائكة كانت في زيارات دائما لها لإخبارها ببعض الاخبار الغيبية, قال تعالى وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ال عمران :43. وكانت تجلب لها رزقاً من عند الله سبحانه وتعالى بصورة دائمة قال تعالى كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ال عمران : 37. بعد تكرار هذه الزيارات وتكرار وجود الرزق أثارت دهشة زكريا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ال عمران:37. وبذلك يكون المحراب بالنسبة لمريم ذو دلالة عبادية يحتشد بالعطاء والأمتلاء بعكس دلالته الاجتماعية التي تمثل العزلة والفراغ[50]

وفي خضم هذا الاستقرار العبادي الذي يدل على سكينه مريم في مكانها العبادي, فجأة يأخذ المكان بالتزاحم حيث تفاجأ مريم بدخول شخص لا تعرفه, فقد جاءها الملك هذه المرة متمثلا بهيئة (بشراً سوياً) وهذا ليس ما اعتادت عليه بهيئته الملائكية قال تعالى فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا مريم:17. تشير المصادر التفسيرية أنه جبريل (ع) ظهر على صورة شاب أمرد جميل سوي الخلقة[51] . يفاجئ مريم (ع) وهي في أعلى كمالات العزلة.

وهذه المفاجأة كان لها أثرها في المتلقي الخارجي (القارئ) والداخلي (مريم) (ع), فتحفيزها للقارئ تدفعه للاستجابة للقصة ومتابعتها لما فيها من دهشه وانبهار, إزاء هذا الحدث والتشوق لمعرفة موقف مريم (ع) منه التي سرعان ما تلجأ الى ما كانت تخلوا إليه سبحانه وتعالى, فيدخل على نفسها الطمأنينة, لتبادر هذا الشخص الغريب بالحوار مبادرة إياه بجملة خبرية, ولا أبلغ منها؛ للتأثير فيه للكشف عن نفسه ونيته إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا مريم :18. و ومن جماليتها أن فيها أخبار معزز بمؤكد (إِنِّي) لإعلانها الشك فيه, يزاد على ذلك إن هذا الخبر جاء معززا بصيغة الشرط (إِنْ) المؤذن بالشكك في تقواه, ومن ثم الوعظ له بالاتعاظ بتعويذتها أن كان تقيا,

بعد ذلك تستثيره بفعل الكون الدال على كون التقوى مستقرة فيه محفزة مشاعر التقوى في نفسه والخوف من الله سبحانه, والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي, وتذكيره بصفة (الرحمن) دون غيرها من صفات الله سبحانه, لأنها أرادت

ان يرحمها الله سبحانه في موقفها هذا, وتتقي الرجل بها, كون التقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن[52] وهذه يمكن أن تكون أبلغ استجابة لفتاة داهمها الخطر, ففيها (اخبار, ومؤكد, واستعاذة, واستثارة, وتذكر) للتأثير في الرجل, مثيرة إياه للكشف عن نفسه ونيته. فاللغة عندها تحولت من ظاهرة اجتماعية إلى حاجة نفسية, تتمثل في إفراز من إفرازات الذات تكتسب بعداً روحي وذوقياً يتخذ طابع المثير والاستجابة[53] .(فكان العنصر العاطفي والانفعالي جزء لا يتجزأ من نظامها اللغوي)[54] . ولردة الفعل هذه من مريم(ع) حفز الملك بالرد كاشفاً عن نفسه وعن نيته. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا مريم :19.

لكن رغم جواب الملك الذي كان يحمل في طياته بشارة لمريم, هي هبتها غلام زكياً, إلا إن عدم تصور مريم لكيفية حصول هذا الأمر الخارق للعادة هو الذي لم يجعل لها استجابة واضحة, خالية من الدهشة والاستفهام والنفي, فالرد منه يفاجئ مريم مرة ثانية, من البحث عن حقيقه الرجل, إلى كيفية مجيء الغلام من غير أب قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا مريم:20.

وهي بذلك تنفي عنها أي تهمة مسبقاً, والتي نتلمس فيها معنى الرقابة والورع[55] فيجيبها الملك بالحقيقة الساطعة قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا مريم:21.

لينتهي الحوار بلغة انزياحية من الغيبة إلى التكلم, كاشف عن كرامة الله سبحانه وتعالى لمريم في الغلام الزكي, وللغلام الزكي كونه آية للناس ورحمة. وبهذه الألتفاتة الجمالية تشعر فيها مريم أنها في حضرة الكرامة الإلهية فيزال عنها كل شك وتردد في الاستجابة لقدره الله سبحانه التي بها يفعل ما يشاء, ويخلق ما يشاء.

وهكذا لاحظنا في مشهد (المكان الشرقي) وما جرى فيه من حوار كشف عن خلجات مريم النفسية, ومدى قدرته على إثارة النفوس في بيئة ذلك الموقف, وقدرته التأثيرية القوية, كما نجد قدرة الحوار على الربط بين المكان وشخصياته, بواسطة تنامي الحدث وتطوره في القصة[56].

فتكرار عنصر المفاجأة في الحدث على شكل هزات متتالية, تكشف عن بناء متلاحم ومتناسق يدل على إعجاز فني ذي دلالات معنوية في قمة الروعة والجمال[57]. فتعدد المفاجأة يعد كسر لرقابة السرد في القصة وتنبيه المتلقي لغرضها.

وانبتهاء مشهد المكان الشرقي, وما حفل فيه من أحداث ومفاجأة وحوارات نتج عنها استجابة مريم (ع) لأمر رب العالمين, لتكون بداية لمشروع نبي.

يبدأ مشهد آخر في مكان آخر تتجه فيه مريم (ع) إلى مكان قصي فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا مريم:22. في هذا المكان منذ البدء أخذت الأمور تتصاعد وتتنامى لتتعاظم على مريم بعد الحمل مما دفعها إلى أن تتخذ لها مكاناً قصياً عن أعين الناس, فكان المكان القصي بيئتها الجديدة, ومع ثقل الزمن فيه على مريم, نجد النص أختصر فيه الزمن بدلالة تكرار حرف الفاء الذي يدل على ترتيب الأحداث فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ , لتصل الأمور إلى الذروة عند مجيء المخاض لمريم (ع).

الذي يمثل في حقيقته العقدة تصل فيه مريم (ع) إلى أشد الصراعات النفسية والجسدية, حتى إنها (ع) تحار في كيفية التعامل مع الوضع الجديد[58].

تعبر مريم (ع) بحديث داخلي عن شعورها عن ما هي فيه قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا مريم:23. إن هذا الهتاف النفسي الجازع من مريم الذي تمنى الموت, يفصح فنياً عن وجود فجوات في الحوار تتصل بمشاعر الناس, وهي مشاعر لم يسردها النص, والسر في ذلك من الوجهة الفنية إن النص يعتزم الكشف عن مشاعر مريم ذاتها ومعرفتها سلفاً, ومن ثم المعرفة بما ستكون عليه استجابة الناس حيال هذا الحدث المعجز – لرؤية السرد من خلف – فكان هتاف مريم هذا من الوجهة الفنية يمهد لمواقف لاحقة تتصل بمشاعر الناس التي كشفت عنها خاتمة القصة التي تتضمن سيلاً من التهم منها لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا وقولهم: مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وقولهم

: مَا كَانَتْ أُمُّكِ فخاتمة القصة حققت نبوءة مريم, والتبرير لمشاعرها التي كانت تتمنى فيها أن تكون نَسْيًا مَنْسِيًّا حتى لا تسمع مثل هكذا تهم[59] يندرج صراع مريم ضمن اثبات الذات بما فيها من تاريخ مشرف في وجه الآخر الذي يحاول النيل من هذا التاريخ بهذه التهم.

لقد شكل الحافز الاجتماعي ضغطا على مريم دفعها لمثل هكذا دعاء, والذي سمعته القدرة الإلهية لتستجيب لها بجواب حدثاً مدهشاً معجزاً لعله يمسح آثار الاستجابة المريرة لمريم (ع), جواب على لسان عيسى (ع) نفسه, أو في بعض النصوص إلى أنه جبرائيل (ع) [60],راسماً لها طرق إفادتها من جماليات استجابة الطبيعية في مكانها القصي قرب جذع النخلة فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا مريم :24-25.

يا لها من استجابة سخرت جمال الطبيعة لجمال القصة الفني, للاحتفاء بالمولود الزكي, تحول فيها, وبها المكان القصي اليبس إلى نهر جارٍ والجذع النخل إلى رطب جني, فأصبح المكان القفر غير الاليف الى مكان يعج بالحركة والحياة (ماء جاري, رطباً يتساقط, مولودً يتكلم, قلب أم يخفق), آه... استجابة تحول فيها المكان الساكن إلى مكان مفعم بالحياة, والحركة والألوان الزاهية, لتحاكي حيوية نطق المولود الزكي الذي أحيا قلب الأم العطوف, وأخرس كل متقول مدعي, فأنعمي يا مريم بعطاء ربك غير المحدود, ليشكل كل هذا لك حافز لتباهلي به و بمولودك القوم.

بعد هذا يعم المشهد السكون والصمت عن رسم استجابة الناس, مفصحاً هذا الصمت عن صمت قومها وهم يواجهون معجزه تكلم عيسى (ع) فيدهشون بسؤال داخلي من هذا؟ وما خطبه, أنه يتكلم في المهد! ليكون الجواب من عيسى (ع) بخلاصة جمالية, استشرافية, توجز كل قصته من صغره حتى نبوته, قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا مريم :30.

وبهذا الجواب الجامع, يحجم الجميع عن السؤال فضلاً عن الجواب ليشكل بدوره نهاية لقصته, نهاية مفتوحة على كل العصور, على أمل أن يعاد له الدور فيستجيب له قوماً آخرين, ويجيبوا سلامه, بتدبر قوله وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا مريم: 33.

لتكشف واقعية هذه الأماكن بجمالياتها, وأشخاصها, والأحداث التي حصلت فيها, عن واقعية القصة القرآنية, وغرضها التواصلي بين الماضي, والحاضر والمستقبل.

ويرسم لنا أحد الباحثين عن بعض جماليات التوازن البنائي والفني الذي ترسمه قصة استجابة مريم (ع) في مكانها الواقعي (المحراب, جذع النخلة) من حيث إن كلاً منهما يمثل ابتعاداً وعزلة, وانسلاخاً عن عالمه المألوف, لكنه في واقع مريم (ع) يتجه إلى عالم ممتلئ مكتنز محتشد, ومتفجر بعطاء لا يقاس بعطاء آخر تحققه حركة الانسان والنبات, فمشاهد بيئة مريم المتحركة تشعرنا بكل ما هو مدهش ومعجز, ورهيب[61] متمثلة في بيئة تتصل بالمكان الشرقي, والمحراب, وحركة الملائكة فيه وتمثلها بشراً سوياً والمكان القصي, وتكلم المولود فيه, وهز النخلة لتساقط رطباً جنياً على مريم (ع) ومن تحتها النهر السريا.

ومن هذه الالتفاتة لهندسة بنائية القصة الفنية, نجد فيها ملمح صوفي جميل, يكشف عنه سياق القصة المكاني فهي تنطوي على مقارنة بين استجابة السماء لمريم في محرابها, واستجابتها في مكانها القصي, في المكان الاول, كانت مريم (ع) مجردة بلا علاقة بأي مخلوق من البشر مهما كان, فاتخذت فيه حجاباً عن الاهل, وغيرهم, فكان يأتيها رزقها بلا تكلف كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ال عمران :37. وفي الأمر الثاني , عندما تعلقت مريم (ع) بالولد أمرت بهز النخلة كي يأتيها رزقها وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا مريم :25. ليعلم من هذا كله أن العلاقة توجب العناء والمشقة[62] بيد أن إفراغ القلب إلا من الله سبحانه وتعالى يوجب خير الدنيا والأخرة.

لكن علاقة مريم (ع) مع المكان لم تخضع للقياس البشري, فبعد أنها في الاماكن التي استجابت الله سبحانه وتعالى في الذهاب لها لا تخضع لمثل هكذا مقياس, فنجد العناية الإلهية قد شملت مريم (ع) مع تعلقها بعيسى (ع) قال تعالى وَجَعَلْنَا

ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ المؤمنون:50 .

بيد أن العناية الإلهية أشركتهما في المكان الأليف بواسطة فعل الايواء إلى(ربوة ذات قرار ومعين) والتي اختلفت الروايات في تعيين مكانها (فقيل هي إيليا أرض بيت المقدس, وقيل هي دمشق, وقيل هي فلسطين وقيل هي مصر)[63] , والتي نرى أن كل من هذه الأماكن التي ذهبت لها مريم (ع) مع عيسى (ع) هو قال مكان أليفاً لها فهو ذو قرار ومعين, والتي لم تخصصها الآية الكريمة في مكان معين لأن (المقصود هو الإشارة الى ايواء الله لهما في مكان طيب ينضر منه النبت, ويسيل فيه الماء, ويجدان فيه الرعاية والايواء) [64] هم الاثنين معاً, ينعمان بهذا الجمال الطبيعي, وجمال نعم الله سبحانه وتعالى معاً, لأن رابط تعلقهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

فمريم ومن معها والمكان الذي تحل فيه هي في محل عنايه واستجابة الله سبحانه وتعالى ومظهر قدرته ولطفه, فقبل هذا المكان كان محرابها الشرقي, ومن ثم مكانها القصي, ولأن مكانها ذو القرار والمعين, والذي هو أكثر أستقرار من سابقيه, فهو منذ البداية مكان أليف يشع بجمال الطبيعة وجمال عيسى (ع), أما ما سبقه من الأماكن فهي تحتاج الى معجزة تهز المشاعر قبل أن تهز طبيعة المكان وتحوله إلى مكان أليف.

يلحظ على أماكن استجابة مريم (ع) إنها لم تنحصر فاعلتها في بعدها الجامد المألوف, بل تعدى ذلك إلى ملامح بيئية غير مألوفة, تدفع بالحدث وتنمية, تشكل, لمريم حافز يدفعها نحو الاستجابة, إذ أظهر لها في مكانها الشرقي حركة الملائكة, ورزقها المستمر, وفي مكانها القصي أظهر لها الآية في النخلة, وجريان النهر, لتستدل على قدره الله ولا تحزن[65] فهي وابنها في كل أماكنهم في قرار ومعين. أرتبط المسار السردي في استجابة مريم بالمكان من البداية حتى النهاية, ليمثل فتيلاً للأحداث ومنعطفاً لتطورات القصة, أما تغير الأمكنة من مكان لأخر في المشاهد المتلاحقة تشير إلى تحول مسار السرد ودفعه نحو الأمام. [66]

لقد أولى السرد في قصة استجابة مريم (ع) للمكان ذكراً واهتماماً خاصاً, فقد اسهم في رسم شخصية مريم (ع) الإيمانية العبادية, لتضفي عليه بدورها صفة التقديس, الذي يصور تنسكها, وبناء على ذلك, فهو اعتبار من اعتبارات الاصطفاء الذي أشارت إليه بداية القصة[67]. ففي عناية الله سبحانه وتعالى لمريم بتلك الأماكن, ربط فني لبنائية القصة, مقدمتها, بأجزائها, كتعويض بتلك الأماكن عن ما اتخذته مريم (ع) من عزله عن اهلها وغيرهم.

الخاتمة

– من جماليات الشخصية النسائية في قصة أم موسى إنها لم تذكر أسماء شخصياتها وإنما ركزت على افعالها ووظائفها في القصة, فكانت تلقب بكناها (أم موسى وأخت موسى وزوج فرعون) ,وكان دور كل منهن ينبع من كنيتها, بيد أن شخصيه الأب والأخ قد غابت تماماً عن مسرح الأحداث, كون الغرض من العرض هو إبراز الشخصية النسائية المثالية, لكي يتم الاقتداء بها من قبل الأجيال.

– شكل العامل النفسي حافزاً له تداعياته في القصة, سواء كان هذا الحافز ناتج عن المنلوج الداخلي أو الخارجي, فهو محوراً جوهرياً في قصة أم موسى (ع) , لا سيما أنها تتعامل مع مشاعر الامومة والطفولة والحب والفراق, فكان الحافز النفسي له دور في البناء الفني للقصة والدفع بها الى الامام.

– من العبر التي يمكن أن نستنتجها من مشهد استجابة شخصية أم موسى (ع) الثانوي ضمن أطار القصة العام– قصة موسى (ع) – لكن وجدنا إن لها شخصية مهمة واساسية ضمن أطارها الخاص, للقياسات الإلهية, فهي التي يوحى لها، وهي التي تدارى مشاعرها, وهي التي يربط على قلبها, وهي التي يسند لها ادوار مهمة في الحياة الاجتماعية, كيف لا وهي من كان لها البصمة الاولى في صنيع الله سبحانه في موسى (ع) في مشروعة النبوي.

– قصة أم موسى حلقة من حلقات قصة موسى (ع) الكبرى ركزت هذه القصة على عنصرين من عناصر القصص القرآني, هما الأحداث والشخصيات, التي كانت لها ميزة خاصة في هذه القصة, وهي أن الأدوار فيها أسندت الى شخصيات نسوية,

أن كانت هذه الشخصيات مفردة(أم موسى, أخت موسى, امرأة فرعون) أو جماعية(مرضعات موسى (ع) ,جواري قصر فرعون, القابلات اللاتي يتولين ولادة النساء) فهي قصة نسائية بأمتياز.

– ومن جماليات نص هذه القصة, هو أنه دارى طبيعة شخصياته, فكان نص أحداثه ملتهبة (بالعواطف والاحاسيس والمشاعر وولادة ورضاعة...). حتى إنه قد غيب بالتمام الشخصية الرجالية, حتى في قصر فرعون كان الدور الرئيس فيه لزوجة فرعون, لكن الملاحظة الهامة في هذا النص, قد غيب عامداً أسماء هذه الشخصيات فلم يسميها بأسمائها مهما كان دور هذه الشخصيات وإنما كناها بكنى هذه الكنى هي ظاهر ما تقوم به هذه الشخصيات فكل كنى منها هي تمثل ووظيفة تلك الشخصيات في الحياة.

– أما ما الحكمة من عدم إظهار اسماء خاصة لهذه الشخصيات النسائية بالنسبة لما استنتجه البحث، هي إن الادوار التي قامت بها هذه الشخصيات هي أدوار عامه يمكن أن تمر على كل امرأة, وعليه يمكن أن تكون هذه الشخصيات كمثل تحتذى به كل امرأة في كل زمان وأي مكان, بدليل إن نص القصة قد غيب عنصر الزمان وكذلك عنصر المكان, ولنفس السبب السابق.

– ركز النص على وظيفة المرأة في الحياة الاجتماعية مراعياً في ذلك تركيبتها النفسية والعاطفية والفيسيولوجية, فهو يتعامل معها بعيداً عن الرجل كما ظهر في القصة. أي لها دور في الحياة الخاص بها الذي يتناسب مع تركيبتها, والرجل له دوره الذي يتناسب مع تركيبته الخاصة. وعليه لا يمكن المساواة بينهما عند النظر لهما من هذه الزاوية.

وهذا العزل ابداً لا ينقص من دور المرأة, لا بل العكس من ذلك يرفع دورها وأهميتها وخير شاهد على ذلك هو قصة أم موسى, وما وصلت له من مقامات هي وأخت موسى وامرأة فرعون, التي لم تمنعها البيئة المنحرفة التي عاشت بها, من أن تصل بهذه المقامات العالية, التي أبدلها الله بدل هذه القصور الفانية, بيتاً في الجنة.

فالمرأة ترتفع وتعمل ضمن النطاق الذي وضعه الله سبحانه لها, كما مر علينا في قصة أم موسى حتى أنها أصبح لها دوراً في الرسالات السماوية, خاصة في مراحلها الاولى.

– يجب أن نستجيب للمرأة ضمن المكانة التي وضعها الله سبحانه لها, وهي تتحرك وتعمل وتستجيب ضمن ما رسم لها من قبل السماء. وبهذه المعادلة المتوازنة تستقيم الحياة وتستمر على خير وصلاح وأي خلل في هذه المعادلة سوف يصبح هناك خلل في موازين الحياة الاجتماعية. وخير مثال ما يمر به العالم اليوم, أن كان العربي والاسلامي, وما فيه من ازدواجية التعامل مع الشخصية النسائية. بين ثقافه الشرق والغرب.

أو ضمن العالم أجمع وما يحصل من خرق لهذه المعادلة والذي نتج عنه هذه الانحرافات والكوارث الاجتماعية, والامراض النفسية والجسدية باسم الحضارة والتحضر. وعليه علينا الرجوع إلى المنهج القرآني الرباني للاستجابة لهذه الشخصية الاستجابة الصحيحة.

– فعل المكان السردي في قصة مريم(عليها السلام), حتى أنه كشف عن شخصيتها العبادية, وخلجاتها النفسية.

– كان للشخصية دوراً فعالاً في تقديس المكان, فأينما تحل مريم(عليها السلام) يكون لذلك المكان خصوصية تقديسيه.

– فعل السرد كل طاقاته الفنية, من جماليات, ومفاجآت, وانزياحات حد الدهشة, وفعل ايضا جمال الطبيعة لجمال السرد للاستجابة لمريم(عليها السلام).

– لم ينحصر المكان في قصة مريم في بعده الجامد المألوف, بل فعل لجوانب بيئية غير مألوفة, تدفع بالحدث وتنميه, لتشكل لمريم حافزاً يدفعها نحو الاستجابة, ومن ثم الاستجابة لها.

الهوامش:

(1) ينظر: د. عبد المجيد سالمي ود. نور الدين خالد وشيرين بدوي, معجم مصطلحات علم النفس,141.

(2) ينظر: د. جميل صليبا, المعجم الفلسفي,189.

(3) ينظر: حميد لحميداني, بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. 50,

(4) ينظر: المصدر نفسه,50.

(5) ينظر: : عدنان خالد عبد الله, النقد التحليلي التطبيقي,66 .

(6) رينيه ويلك , و اوستن وارين, نظرية الأدب,28 , ينظر: رشاد رشدي, فن القصة القصيرة,50.

(7) المصطفى الجماهيري, الشخصية في القصة القصيرة, 114.

(8) ينظر: عبد الملك مرتاض, في نظرية الرواية.99 ,

(9) ينظر: محمد سويرتي, النقد البنيوي والنص الروائي, 70.

(10) ينظر: سيد قطب, التصوير الفني,154.

(11) ينظر: شارف مزاريا, مستويات السرد الاعجازي في القران الكريم,26.

(12) ينظر: د. عبد العالي بوطيب, مستويات دراسة النص الروائي مقاربة نظرية, .55

(13) ينظر: شارف مزاري, مستويات السرد الاعجازي,41 .

(14) ينظر: مستويات دراسة النص الروائي,57.

(15) ينظر: عبد الملك مرتاض, في نظرية الرواية .91,

(16) ينظر: , د. فالح الربيعي القصص القرآنية رؤية فنية.54 ,

(17) ينظر: نظريات السرد الحديثة, 119.

(18) ينظر: ابن كثير, قصص الانبياء,293 .

(19) ينظر: ابن عاشور, التحرير والتنوير,73/20 .

(20) ينظر: المصدر نفسه.

(21) ينظر: مقداد عبد العظيم فاضل الإمارة, أنماط التركيب في الحوار القرآني- قصة موسى انموذجاً,83 .

(22) ينظر: الزمخشري, الكشاف.3/393 ,

(23) ينظر: المصدر نفسه.3/393 ,

(24) ينظر: الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القران,273.

(25) ينظر: ابن كثير, تفسير القران العظيم:.3/381 ,

(26) ينظر: ابن عاشور, التحرير والتنوير.20/77,

(27) ينظر: د. عماد عبد يحيى, البناء والدلالات في لغة القصص القرآني , 350.

(28) ينظر: بدر الدين بن جماعة, غرر التبيان من لم يسم في القرآن,388.

(29) ينظر: التحرير والتنوير.20/75,

(30) ينظر: ا. د . يوسف نوفل, جماليات القصة القرآنية:, 201 .

(31) ينظر: د. يادكار لطيف الشهر زوري, جماليات التلقي في السرد القرآني,159.

(32) أ .د . فرانسيس ت .ماك اندرو, علم النفس البيئي.31 ,

(33) المصدر نفسه, 25.

(34) حميد لحمداني, بنية النص الروائي:, 73.

(35) ينظر: رياض بن يوسف, أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد:, 141.

(36) المصدر نفسه,141.

(37) بنية النص الروائي,70.

(38) ينظر: المصدر نفسه70,

(39) ينظر: رياض بن يوسف, أدبية السرد القرآني, 142.

(40) ينظر: شاكر النابلسي, جماليات المكان في الرواية العربية, 12- 13.

(41) ينظر: عبد الكريم الخطيب, القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه, 89.

(42) ينظر: حسين مجيد الربيعي, نظرية المكان في فلسفه ابن سينا, 28.

(43) جاستون باشلار, جماليات المكان, 45.

(44) ينظر: مجموعة من الباحثين, جماليات المكان, 63.

(45) ينظر: ياسين النصير, اشكالية المكان في النص الأدبي, 151.

(46) ينظر: ابن عاشور, التحرير والتنوير,16/ 78.

(47) ينظر: عبد الله إبراهيم, البناء الفني لرواية الحرب في العراق.16,

(48) ينظر: التحرير والتنوير, 16/ 78 ,أنوار التنزيل واسرار التأويل.4/7 ,

(49) الكشاف , 9/3

(50) ينظر: الدكتور محمود, البستاني دراسات فنيه في قص القرآن, 351.

(51) ينظر: الفخر الرازي, مفاتيح الغيب,21/ 520.

(52) ينظر: سيد قطب, في ظلال القرآن, 2305.

(53) ينظر: محمد جعفر, الدلال النفسية للألفاظ في القرآن الكريم.7,

(54) دور ستيفن اولمان, تر, د. كمال محمد بشر, الكلمة في اللغة,26.

(55) ينظر: الوحدة الموضوعية في سوره مريم: 107.

(56) ينظر: محمد دبور, أسس بناء القصة في القرآن الكريم, 217.

(57) ينظر: سليمان الطراونه, دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية, 112.

(58) ينظر: المعمار القصصي في سورة مريم (ع).16 ,

(59) ينظر: محمود البستاني, دراسات فنيه في قصص القرآن,356

(60) ينظر: البيضاوي, أنوار التنزيل واسرار التأويل, ج/7.

(61) ينظر: دراسات في قصص القرآن, 352.

(62) ينظر: للقشيري, لطائف الاشارات, ج4/ 97.

(63) الكشاف, ج3/ 189.

(64) سيد قطب, في ظلال القران,4/ .2469

(65) ينظر: الشيخ اثير الدين ابي حيان الاندلسي, تحفة الأريب بما فيه القرآن من الغريب,1/ 328.

(66) ينظر: وول ستور, علم الرواية.92,

(67) ينظر: عماد عبد يحيى, البنى والدلالات في لغة القصص القرآني, 357.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم:

أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القران, تح, محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, بيروت.

أبي الفداء إسماعيل ابن كثير(ت774هـ), قصص الأنبياء, تح, مصطفى عبد الواحد, ط3, مطبوعات وزارة الأعلام, مكة المكرمة1988م.

اثير الدين ابي حيان الاندلسي, تحفة الأريب بما فيه القرآن من الغريب, ج1, تح, سمير المجذوب, ط1, المكتبة الإسلامية,1983م .

بدر الدين بن جماعة, غرر التبيان من لم يسم في القرآن, تح, د. عبد الجواد خلف, ط1, دار قتيبة, 1410هـ.

البيضاوي, أنوار التنزيل واسرار التأويل, ج7, ط1, دار الكتب, بيروت لبنان, 1977م.

جاستون باشلار, جماليات المكان, تر, غالب هلسا, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, ط2, 1984م .

جميل صليبا, المعجم الفلسفي, دار الكتاب اللبنانية, بيروت,1978.

حسين مجيد الربيعي, نظرية المكان في فلسفه ابن سينا, دار الشؤن العامة, بغداد, 1987م.

رفعت فوزي, الوحدة الموضوعية في سوره مريم, ط1, دار السلام, 1986م.

رياض بن يوسف, أدبية السرد القرآني –أطروحة دكتوراه- كلية الآداب, جامعة منتوري, 2015.

رينيه ويلك , و اوستن وارين, نظرية الأدب,28 , ينظر: رشاد رشدي, فن القصة القصيرة, ترجمة, ثائر ديب, منشورات وزارة الثقافة, سوريا- دمشق,1995م.

ستيفن اولمان ,دور الكلمة في اللغة, تر, د. كمال محمد بشير, مكتبة الشبات, المنيرة, 1975م.

سليمان الطراونه, دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية , ط1, الاردن, 1992م.

سيد قطب, التصوير الفني, ط3, دار الشروق,1407هـ.

سيد قطب, في ظلال القرآن ,ط3, دار الشروق, 1407هـ.

شارف مزاريا, مستويات السرد الاعجازي في القران الكريم, اتحاد كتاب العرب, دمشق,2001م.

شاكر النابلسي, جماليات المكان في الرواية العربية:, 12- 13.

عبد العالي بوطيب, مستويات دراسة النص الروائي مقاربة نظرية,ط1, دمشق, 1999م.

عبد الكريم الخطيب, القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه, أطروحة دكتوراه, دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, 1975م.

عبد الكريم بن هوازن القشيري, لطائف الاشارات, ج4, تق, د. إبراهيم البسيوني, دار الكتاب العربي للطباعة, القاهرة .

عبد الله إبراهيم, البناء الفني لرواية الحرب في العراق, ط1, دار الشؤن الثقافية, 1988م .

عبد المجيد سالمي, ود. نور الدين خالد وشيرين بدوي, معجم مصطلحات علم النفس,ط1, دار الكتاب المصري, القاهرة,1998م.

عبد الملك مرتاض, في نظرية الرواية, دار المعرفة, الكويت, 1998.

عدنان خالد عبد الله, النقد التحليلي التطبيقي,ط1,دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1986م .

عماد الدين أبو الفداء أسماعيل ابن كثير, تفسير القران العظيم ج3, دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت, 1969م .

عماد عبد يحيى, البنى والدلالات في لغة القصص القرآني, ط1, دار دجلة, عمان- الأردن, 2009.

فالح الربيعي, القصص القرآنية رؤية فنية, ط1, دار الثقافة للنشر, القاهرة,2002م.

الفخر الرازي ,مفاتيح الغيب, ج21, ط3, دار أحياء التراث العربي, بيروت, 1420هـ.

فرانسيس ت .ماك اندرو, علم النفس البيئي, , تر, أ.د عبداللطيف محمد خليفة و د. جمعة سيد يوسف, ط2, مطبوعات جامعة الكويت, الكويت, 2002م.

كليم سعيد ناصر الخاطري, المعمار القصصي في سورة مريم (عليها السلام), رسالة ماجستير, 2009م.

مجموعة من الباحثين, جماليات المكان ,عيون المقالات للنشر, دار قرطبة, ط2, 1988م .

محمد الطاهر بن عاشور, التحرير والتنوير, ج 20, الدار التونسية, تونس, 1984 .

محمد بن عمر الزمخشري, الكشاف, ط3, دار الريان للتراث, 1407هـ.

محمد جعفر, الدلال النفسية للألفاظ في القرآن الكريم, أطروحة دكتوراه, كلية الآداب, جامعة القادسية, 1988م.

محمد دبور, أسس بناء القصة في القرآن الكريم, أطروحة دكتوراه, كلية اللغة العربية, جامعة الأزهر, مصر, 1996م.

محمد سويرتي, النقد البنيوي والنص الروائي, منشورات أفريقيا الشرقية,1991م.

محمود البستاني, دراسات فنيه في قصص القرآن, ط2, دار البلاغة, لبنان, 2013م.

المصطفى الجماهيري, الشخصية في القصة القصيرة, مجلة آفاق عربية,1991م.

مقداد عبد العظيم فاضل الإمارة, أنماط التركيب في الحوار القرآني- قصة موسى انموذجاً,ط1, دار الولاء, بيروت- لبنان,2021م.

والاس مارتن, نظريات السرد الحديثة, تر, حياة محمد جاسم, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة,1998.

وول ستور, علم الرواية, تر, مأمون الزائري, ط1, دار نينوى, للدراسات والنشر, دمشق- سوريا, 2020م. .

يادكار لطيف الشهرزوري, جماليات التلقي في السرد القرآني, ط1, دار الزمن, دمشق- سوريا, 2010.

ياسين النصير, اشكالية المكان في النص الأدبي,ط1 ,دار الشؤن الثقافية العامة, بغداد,1986م .

يوسف نوفل, جماليات القصة القرآنية, ط1, دار العالم العربي, القاهرة, 2021م.

AESTHETICS OF RESPONSE IN QURANIC STORIES - FEMALE PERSONALITY UMM MUSA AND MARY, PEACE BE UPON THEM BOTH, AS A MODEL

Hussein **H**assan **A**bdullah* **R**awa **N**aas **M**uhammad**
*Dept. of Quran Sciences - Imam Al-Kadhim College – Depts. Of Diwaniyah Depts-Iraq
****** Dept. Of Arabic Language - College of Arts - University of Al-Qadisiyah-Iraq

ABSTRACT

The character is one of the prominent elements in the Quranic stories. Therefore, the Qur'anic story covered most of its characters, including the female character, who gave her wide spaces in her stories, and assigned her pivotal roles in the lives of her prophets, commensurate with her moral and ethical composition that God Almighty created her, so the research sought to identify the aesthetics of the Qur'anic response to women,For selected examples of Quranic stories, and let it be the story of (Umm Musa and Mary, peace be upon them both), let us note the accuracy of the Qur'an's dealing with women according to a balanced equation compatible with their composition, and looking at them realistically, starting from the realism of the Qur'anic story; To achieve our sermon and lesson, and then empower it according to the Quranic perspective that was drawn for it.

Therefore, the research recommends identifying the aesthetics of the Qur'anic response to other female characters in the Qur'anic stories. In order to be able to learn more about the methodology of the Qur'an for dealing with the female personality; let's deal with it according to this methodology.

***KEYWORDS*:** aesthetics, response, Umm Musa, Maryam (peace be upon her).